اللّٰه

جَلَّ جلاله

وحكمة خلق الإنسان

جمعية تبليغ الإسلام

سيد محمود حامد

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾

مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ

﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ

عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين .. أما بعد ،،

فقد وردت إلى جمعية تبليغ الإسلام من بعض مسلمي إحدى الدول الأوربية أسئلة يوجهها إليهم من يسمون بالمبشرين المسيحيين ، وهذه الأسئلة هي :

١- من هو الله ؟

٢- كيف نَصِل إلى الله ، وكيف نكون صادقين مع الله ؟

٣- ماذا نعمل كي نصل إلى الجنة ؟

٤- هل أنت وفَّيت بكل هذه الأعمال ؟

٥- كيف إذًا نَصِل إلى الجنة برحمته ومغفرته فقط ؟

٦- كيف يكون الله عادلاً ورحيمًا ؟

ثم ختمت هذه الأسئلة بعبارة (المسيح أُضْحِية الله)

ونظرًا لأن سورة الفاتحة قد أجابت على جميع هذه الأسئلة فقد استفتحنا رَدَّنا هذا بكتابتها .. وهذه السورة قد قال عنها رسول الله « محمد » (ﷺ) : (هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ) رواه البخارى .. كما قال (ﷺ) عنها : (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أُنْزِلَتْ فِي التَّوْرَاةِ وَلاَ فِي الإِنْجِيلِ وَلاَ فِي الزَّبُورِ وَلاَ فِي الْفُرْقَانِ مِثْلُهَا) رواه الترمذي ..

السؤال الأول : من هو الله ؟

الله سبحانه الذي افْتُتحت السورة باسمه ثم أُعيد ذكره في آية (الحمد لله) هم اسم العلم لذات صاحب الوجود الحق المستحق للعبودية والمستحق لكمال الأسماء والصفات التي عَبَّر عنها القرآن بالأسماء الحسنى وصفاته العلا وجعلها وسيلتنا لمعرفته .. وقد انفرد سبحانه بِهَذا الاسم فلا يشاركه فيه أحد ، لذلك جعله الله للشهادة بتوحيده والعبودية والخضوع له والتعلق والتوجه إليه كما جعل ذلك أيضًا لأسمائه الحسنى ، هذه الأسماء التي يجب التخلق بِهَا حسب فطرة الإنسان وقدرته ..

والأسماء الحسنى ذُكرت في حديث رسول الله (ﷺ) قال : (إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا ، مِائَةً إِلاَّ وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ) .. رواه البخارى .

والأسماء التى جرى الناس على حفظها وقبولها والتي وردت في سنن الترمذى هي : هُوَ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلاَمُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ الْغَفَّارُ الْقَهَّارُ الْوَهَّابُ الرَّزَّاقُ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ الْخَافِضُ الرَّافِعُ الْمُعِزُّ الْمُذِلُّ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ الْحَكَمُ الْعَدْلُ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ الْحَلِيمُ الْعَظِيمُ الْغَفُورُ الشَّكُورُ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ الْحَفِيظُ الْمُقِيتُ الْحَسِيبُ الْجَلِيلُ الْكَرِيمُ الرَّقِيبُ الْمُجِيبُ الْوَاسِعُ الْحَكِيمُ الْوَدُودُ الْمَجِيدُ الْبَاعِثُ

الشَّهِيدُ الْحَقُّ الْوَكِيلُ الْقَوِيُّ الْمَتِينُ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ الْمُحْصِي الْمُبْدِئُ الْمُعِيدُ الْمُحْيِي الْمُمِيتُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ الْوَاجِدُ الْمَاجِدُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ الْقَادِرُ الْمُقْتَدِرُ الْمُقَدِّمُ الْمُؤَخِّرُ الأَوَّلُ الآخِرُ الظَّاهِرُ الْبَاطِنُ الْوَالِيَ الْمُتَعَالِي الْبَرُّ التَّوَّابُ الْمُنْتَقِمُ الْعَفُوُّ الرَّءُوفُ مَالِكُ الْمُلْكِ ذُو الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ الْمُقْسِطُ الْجَامِعُ الْغَنِيُّ الْمُغْنِي الْمَانِعُ الضَّارُّ النَّافِعُ النُّورُ الْهَادِي الْبَدِيعُ الْبَاقِي الْوَارِثُ الرَّشِيدُ الصَّبُورُ ..

وقد ذكر البعض أسماء أخرى وردت فى القرآن والحديث الشريف ، ومن هذه الأسماء : الرَّبُ ، الْمُحِيطُ ، الْكَافِي ، الْقَرِيبُ ، النَّصِيرُ ، الْمُنْعِمُ ، الْمُتَفَضِّلُ ، الْمُغِيثُ ، الْجَمِيلُ ، الْفَاطِرُ ، الْمَنَّانُ ، الْحَنَّانُ ، الحفي ، الغالب ، الْمُسْتَعَانُ ، الْكَفِيلُ ، الأَحَدُ ، الإِلَه ، الدَّائِمُ ، الْمَوْلَى ، الْمُبِينُ ، الصَّادِقُ ، ذُو الطَّوْلِ ، رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ..

وذهب جمهور العلماء إلى أن عدد الأسماء أكثر من تسعة وتسعين ..

وذكر النووى أن المقصود من الحديث هو : الإخبار بأن هذه التسعة والتسعين من أحصاها دخل الجنة وهو لا ينافي أن له تعالى أسماء غيرها غير موصوفة ، ويؤيد ذلك قول رسول الله (ﷺ) من حديث ابن مسعود الذى أخرجه أحمد : (مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلاَ حَزَنٌ فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي وَنُورَ صَدْرِي وَجِلاَءَ حُزْنِي وَذَهَابَ هَمِّي ، إِلاَّ أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَجًا) ..

وقد جمعت هذه الأسماء :

١- **أسماء التوحيد والأحدية** : الواحد ، الأحد ، الصمد ، الأول والآخر ، الظاهر والباطن ، الغنى ، المحيط .

٢- **أسماء الألوهية والربوبية ومنها** : الرب ، الإله ، القابض الباسط ، المعز المذل ، المحيي المميت .

٣- **أسماء التقديس والتنـــزيه ومنها** : القدوس ، السلام ، العليم ، الغنى ، الحق ، الحكم ، العدل ، النور ، الجميل .

٤- **أسماء العظمة والكبرياء ومنها** : الملك ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، المهيمن ، القهار ، العظيم ، العلى الكبير ، الجليل ، ذو الجلال والإكرام ، مالك الملك ، المجيد ، القوى ، المنتقم .

٥- **أسماء الخلق والإبداع ومنها** : الخالق ، البارئ ، المصور ، الفاطر ، البديع .

٦- **أسماء الجود والفضل ومنها** : الرحمن ، الرحيم ، الغفار ، الغفور ، البر ، التواب ، الوهاب ، الرزاق ، الحليم ، الحفيظ ، المجيب ، الودود ، الولى ، الهادى .

٧- **أسماء الكمال للصفات** : العليم ، السميع ، البصير ، المحصى ، الحى ، القيوم ، النور ، الوارث ، الرشيد .

وهذه الأسماء قد اشتملت على أحسن المعاني وأكمل الصفات ، فهي كما قال تعالى عن نفسه : ﴿ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ سورة الروم آية ٢٧ ..

وقد جمعت الكلمتان الأوليان من سورة الفاتحة كل هذه المعاني في قوله تعالى :

(الحمد لله) :

قال ابن كثير : افتتح الله سبحانه كتابه بالحمد ، وافتتح خلقه بالحمد فقال تعالى : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَـٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ سورة الأنعام آية ١ .

واختتم الوجود بالحمد فقال تعالى : ﴿ وَتَرَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ سورة الزمر آية ٧٥ .

وحمد نفسه فى الأولى والآخرة فقال : ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ سورة القصص آية ٧٠ .

فله الحمد فى الأولى والآخرة ، أى فى جميع ما خلق وما هو خالق ، وهو ما علَّمه الرسول ليذكره المسلم فى دعائه : (اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءَ السَّمَاوَاتِ ، وَمِلْءَ الأَرْضِ ، وَمِلْءَ مَا بَيْنَهُمَا ، وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ) ..

وهو آخر دعاء المؤمنين فى الجنة : ﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَـٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَـٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ سورة يونس آية ١٠ .

فهم كلما دعوا الله سبحانه وسبحوه ختموا دعاءهم بالحمد لله رب العالمين .

وقد روى الترمذى عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ (رضي الله عنهما) قال : قال رسول اللهِ (ﷺ) : (أَفْضَلُ الذِّكْرِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الْحَمْدُ لِلَّهِ) ..

قال ابن جرير الطبرى : الحمد لله ثناء عليه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى .

وفى سنن ابن ماجه عن ابن عمر (رضى الله عنهما) أن رسول الله (ﷺ) حدَّثهم : أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ قَالَ : (يَا رَبِّ لَكَ الْحَمْدُ كَمَا يَنْبَغِي لِجَلاَلِ وَجْهِكَ وَلِعَظِيمِ سُلْطَانِكَ) فَعَضَلَتْ بِالْمَلَكَيْنِ فَلَمْ يَدْرِيَا كَيْفَ يَكْتُبَانِهَا ، فَصَعِدَا إِلَى السَّمَاءِ وَقَالاَ : يَا رَبَّنَا إِنَّ عَبْدَكَ قَدْ قَالَ مَقَالَةً لاَ نَدْرِي كَيْفَ نَكْتُبُهَا ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا قَالَ عَبْدُهُ : (مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟) ، قَالاَ : يَا رَبِّ إِنَّهُ قَالَ : يَا رَبِّ لَكَ الْحَمْدُ كَمَا يَنْبَغِي لِجَلاَلِ وَجْهِكَ وَعَظِيمِ سُلْطَانِكَ ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمَا : (اكْتُبَاهَا كَمَا قَالَ عَبْدِي حَتَّى يَلْقَانِي فَأَجْزِيَهُ بِهَا) ..

وقد نفهم أن هذه الكلمة إذ عضلت بالملكين أنَّها تضمنت من الثناء على الله ما يزيد على قدر الثناء الذي يتحقق به هذان الملكان فى حدود معرفتهما بالأسماء الإلهية ..

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ : شملت حمده سبحانه بربوبيته للعالمين ، والعوالم : هي ما سوى الله سبحانه وتعالى وجميعها مقتضى وآثار أسمائه وصفاته سبحانه .. ومن ثَمَّ فقد صدق ابن جرير الطبري حين قال : الحمد لله ثناء عليه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى . لذلك جاء الحمد شاملا للأولى والآخرة ولما ينبغي لجلال وجهه سبحانه ولعظيم سلطانه ، والمتتبع لبعض آيات القرآن الكريم التي ورد فيها الاسم الحميد نجد أن الاسم الحميد قد اقترن من الأسماء الحسنى بأسمائه : (الغنى) : فى عشر آيات ، وهو ما يدل على أن حمده سبحانه أساسًا هو بذاته لذاته ، كما جاء قوله : ﴿ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾ سورة هود آية ٧٣ . فمن صفتى الحمد والمجد جاءت رحمته وبركاته على أهل البيت ، وفى قوله تعالى : ﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ سورة الحج آية ٢٤ ،

وقوله : ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلۡحَقَّ وَيَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾ سورة سبأ آية ٦ . وصراط الحميد هو الصراط المستقيم الذى شمل جميع الفضائل والقيم العليا وهى أيضًا مقتضى الأسماء الإلهية الحسنى ..

جاء فى تفسير المنار فى تفسير قوله تعالى : ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ : أن الله سبحانه أثنى على نفسه بما علَّم به عباده الثناء عليه ، فأثبت أن كل ثناء حسن فهو ثابت له بالاستحقاق وبما هو متصف به من الخلق والإيجاد والإعداد والإمداد فذاته تعالى متصفة بجميع صفات الكمال وجوبًا ، فالكمال الأعلى داخل فى مفهوم حقيقتها أو لازم من بين لوازمه ..

قال الإمام ابن تيمية : يحمد الله تعالى على ما له من الأسماء الحسنى والمثل الأعلى وما خلقه فى الآخرة والأولى ولهذا قال تعالى : ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ﴾ سورة الإسراء آية ١١١ . وقال تعالى : ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ﴾ سورة الأنعام آية ١ .

عرضنا لبعض التعريف بذات الله سبحانه من قوله : (الحمد لله) .. هذا الكمال والجمال والجلال أين منه مَنْ يعبد صنمًا أو حيوانًا أو بشرًا ويزعم أنه إله ؟!!

فالأصنام حجارة صنعها عُبَّادها وقد حطمها كل من إبراهيم ومحمد (عليهما الصلاة والسلام) .. والحيوانات ومنها البقرة التي يقدِّسها بعض الهنود تُذبح وتُؤكل ولا تملك من أمر نفسها شيئًا .. والذين زعموا أن المسيح (عليه السلام) إله أو ابن إله

نسوا أنه يأكل ويشرب ويُخرج الطعام ، وهو في هذا كأي إنسان تخرج منه القاذورات والروائح الكريهة ، ووفقًا للكتب المحرَّفة كانت نـــهاية حياته أن الناس أهانوه وبصقوا عليه وضربوه وألبسوه إكليلاً من الشوك واستهزءوا به فضلاً عن الصلب المزعوم الذي انتهت به حياته ، والحقيقة أن الذي صُلِب هو يهوذا الخائن كما ذُكِر في إنجيل برنابا وكما جاءت النبوءات في العهد القديم ، والغريب أن مَنْ ينتسبون إليه يأكلون لحمه ويشربون دمه – وفقًا لمعتقداتِهِم – وهم بالتالي يخرجونَهَا في صورة البراز أو البول ، فكيف يكون ذلك إلها يُعْبَد من دون الله إلا لمن كان ضالاً مُضِلاً كما سيأتي في ختام سورة الفاتحة ؟!!

وبالإضافة إلى كمال صفاته سبحانه التي شملتها كلمة (الحمد) فقد جاء تعريف الله سبحانه في الآية الأولى في قوله سبحانه : ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ ، جاء التعريف هنا برب العالمين ، و(الرَّبُّ) في الأصل من (التربية) : وهو إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حد التمام حسب استعداده .. ولا يقال (الرب) مطلقًا مُعَرَّفًا بالألف واللام إلا لله تعالى المتكفِّل بمصلحة الموجودات ، والمالك المدبِّر لأمور العالَم كلها .. ولذلك أضاف (رب) إلى (العالمين) ، فالعالمين تعني : جميع الكائنات ، أي أنه رب كل ما يدخل في مفهوم لفظ العالَم .. و(العالمين) : هي كل ما سوى الرب سبحانه وتعالى ..

ومن هنا فالوجود كله سماواته وأرضه بما في ذلك من مجرات وسيارات ونجوم وكواكب وأقمار حتى العرش ، والوجود بما فيه من جماد وزرع وحيوان وملائكة وإنسان وجن ، وكل ما وُجِد في الدنيا والآخرة من جنة ونار ، كل ذلك هو الذي

أوجده وأوجد فيه قوانينه وسُنَنه ، بل ما لم ينشأ حتى الآن من أنواع الخلق هو سبحانه ربه ومالكه .. ولذلك كان الثناء بكل ذلك فيما ورد عن رسول الله (ﷺ) : (اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءَ السَّمَاوَاتِ ، وَمِلْءَ الأَرْضِ ، وَمِلْءَ مَا بَيْنَهُمَا ، وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ) ..

هذه هي الآية الأولى من سورة الفاتحة : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ..

هذه الآية كيف التحقق بِهَا وكيف فهمها ؟

١- هل بدءًا بالثناء على الله سبحانه من حيث ألوهيته ناظرا إلى ربوبيته سبحانه للعالمين ؟ والعالمين هى : ما سوى الله سبحانه (سمواته وأرضه - الزمن والمكان - العرش وحملته - الملائكة والمرسلون - جميع أنواع الخلق من جماد ونبات وحيوان وإنسان) بدءًا من الذَّرَّة فما دونـــها إلى الكون كله ممسوكًا بالله سبحانه وهو يسير فى حركته وعلاقاته وفقا لسُنَن بارئه .

٢- هل بدءًا من العالمين وهو كل ما ذكرناه منظورًا إلى ربوبية الله سبحانه فيه وصعودًا إلى الذات العلية وأنت متلبس بالثناء والحمد لها وعليها ؟

٣- هل بنظرة شاملة بعد اليقين ببينونة الله سبحانه من خلقه فى استوائه على عرشه بالوجه الذى أراده والذى يليق بجلاله ، ومكانك أنت تحت العرش قلبك ساجد لله سبحانه ونظرك وعقلك على الوجود ترى آثار القدرة والخلق فى العالمين بدءا من أول لحظة فى الزمان والتى بدئ فيها الخلق إلى تطور وحركات الوجود فى إجماله وتفصيله وعلاقته ، ومنتهيا إلى فناء الوجود كله ، وبدء أحداث القيامة ، وإلى أن يدخل أصحاب الجنة الجنة ، وأصحاب النار النار ، مع مشاهدة كل ما فيها من أحداث ؟

٤- هل بمجال فلك الإنسان إن بدأت من تحت العرش مثنيا على الذات العلية - الله - دائرًا حول الأكوان متحققًا برؤية اسم الرب فى كل كون وفى كل ذرة ثم تعود لتسجد مرة ثانية تحت العرش بالحمد والثناء ؟

٥- إذا استحضرت الذات العلية فالمطلوب أن تخرج من الأكوان - العالمين - وتتجرد من ذاتك ومن الخلق ولا يبقى لك إلا الثناء على الذات العلية .

٦- هو سبحانه رب العالمين وهذا يوجب عليك :

أ ـــ تمام التسليم له ولِقَدَرِهِ ، فالأمور كلها بيده .

ب ـــ خلوص الدعاء له وحده وقصر الطلب والرجاء عليه وحده .

ج ـــ الوقوف الدائم مع ذِكْرِه سبحانه وألا يَكِلك إلى نفسك طرفة عين ولا أقل من ذلك (فى حياتك فى الدنيا ، فى عالَم البرزخ بعد الموت ، فى مواقف يوم القيامة ، وحتى بعد دخولك الجنة) ، وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ سورة يونس آية ١٠ .

وإذا كنت فى جميع حياتك فى الدنيا أو فى البرزخ أو فى القيامة أو مع فضله سبحانه فى الآخرة بدخول الجنة إن شاء الله ، إذا كنت فى كل ذلك فإنك تتقلب بين الأسماء الإلهية ، تتعرف عليها ، وتتجه وتدعو الله سبحانه الذى له هذه الأسماء ، وفى جميع أحوالك تتعلق وتتخلق بـــها محاولاً بذلك التحقق الكامل بما توحيه هذه الأسماء ، وذلك وفق طبيعتك وطاقتك البشرية ..

هذه هي الآية الأولى من الفاتحة ، ومما تقدم يتبين لك حقيقة قول الرسول (ﷺ) : (هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ) ، وقوله (ﷺ) : (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أُنْزِلَتْ فِي

التَّوْرَاةِ وَلاَ فِي الإِنْجِيلِ وَلاَ فِي الزَّبُورِ وَلاَ فِي الْفُرْقَانِ مِثْلُهَا) .. لأنك بِهَذه الآية عرفت الله سبحانه بجميع كمالاته وربوبيته للخلق كله والذي وُجِد على مقتضى صفاته لأن في التربية معاني الخلق والرحمة والعدل والقوة والجود لكي يصل كل مخلوق إلى كماله .. وقد شملت كلمة (العالمين) الوجود كله من بدء خلقه وممتدًّا في مراحل كل مخلوق إلى أن يرث الله الأرض ومَن عليها إلى مواقف وأحوال الآخرة ، فقد جمعت هذه الآية كل المكان وكل الزمان ، فأين يوجد مثلها ، وأنَّى يوجد مثلها سواء في كلام الأولين والآخرين أو في كلام الجن أو الإنس ؟! وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ سورة الإسراء آية ٨٨ ..

وقد عرف الناس قدر القرآن حتى الكفار منهم الذين أيقنوا بأنه كلام الله المعجز على رغم جحودهم له لِمَا تسلَّط به الشيطان عليهم مستدرجًا لهم معه عُتُوَّهم وتَكَبُّرَهم .. وقد قال الوليد بن المغيرة – وهو من كفار مكة – بعد أن سمع شيئًا من القرآن من رسول الله (ﷺ) : (والله لقد سمعت من محمد كلامًا ، ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن ، وإن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة [1] ، وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمغدق [2] ، وإنه يعلو ولا يعلى عليه ، إنه ليحطم ما تحته) ..

وإذا كانت الآية الأولى من الفاتحة قد جمعت المعاني التي أوردناها في القرآن الكريم من أوله لآخره (كتاب التعريف بالله) وبيان خضوع الوجود كله لسلطانه وعبوديته له سبحانه ، فالكون كله يسبح بحمده ويسجد له ، وهذا ما تؤكِّده آيات السجود في

---

[1] طلاوة : بَهْجَة .

[2] مغدق : كثير الخير والماء .

القرآن ، فقد أوضحت آيات السجود أن الساجدين هم كل مَنْ وما في السماوات والأرض : الملائكة والناس والشمس والقمر والشجر والأنبياء ومَنْ عنده سبحانه حتى حملة العرش ومن حوله كما شملت جميع الأماكن والأشخاص وظلالهم والخبء في السماوات والأرض حتى العرش العظيم كما شملت جميع الأزمنة من ليل ونَهْار ..

وهذا ما يدلك على أنك أمام كتاب إلهي تم بالوحي الإلهي إلى رسول الله (ﷺ) أما كتب الأديان الأخرى فلن تجد فيها إلا بعض القصص الخرافية كقصة شمشون الجبار والأحكام القاسية واتِّهام الأنبياء بأسوأ الجرائم والمنكرات ..

ذكرنا أن فاتحة القرآن الكريم قد شملت الإجابة على جميع الأسئلة والآن نعقد مقارنة بسيطة بين ما ورد في الفاتحة وبين ما يقابلها في عبادة النصارى ..

جاء النص الآتي في إنجيل (مَتَّى) الإصحاح ٦ عدد من ٩ – ١٣ قوله : (أبانا الذي في السماوات ، ليتقدس اسمك ، ليأت ملكوتك ، لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض ، خبزنا كفافنا أعطنا اليوم ، واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضا للمذنبين إلينا ، ولا تدخلنا في تجربة لكن نَجِّنا من الشرير) ..

وأول ما يلاحظ في هذا النص أن لم يرد فيه اسم الله سبحانه ولا اسم الرب – وقد بيَّنَّا بعض مما في هذين الاسمين – وأورد بدلاً منهما لفظ (أبانا) ، ولفظ (الأب) في حق الله سبحانه لا يليق لأنه ينشأ بعلاقة بين الرجل والمرأة يتَنَزَّه الله تعالى أن تُنْسَب إليه ، فضلاً عن أن هذه الكلمة هي التي أضلتهم حين قالوا : (المسيح ابن الله) .. ومع ذلك فالفرق بين كلمة (أبانا) وكلمة (رب العالمين) واضحة من حيث الرعاية الزمنية ، فرعاية الأب تبدأ بعد أن ينمو الإنسان وتستمر فترة من حياته عند بلوغه سن الرشد ،

هذا على فرض بقاء الأب على قيد الحياة ، وعلى فرض أنه أب بَارٌّ يرعى أولاده ، أما (الرب) فتشمل تربيته في جميع مراحل الحياة في الدنيا والآخرة ، كما أن إضافة كلمة (العالمين) في آية سورة الفاتحة توحي بتسخير الوجود كله لِمَنْ خلق ، فحفظه سبحانه شامل كامل ..

قوله : (ليأت ملكوتك) : (الملكوت) : هو الْمُلْك العظيم والسلطان القاهر ، وما يقع تحت سيادة الْمُلْك وملكوت السماوات والأرض من فيهما من آيات وعجائب .. والقول : (ليأت) يوحي بأن ملكوت الله سبحانه غير قائم الآن ، ولذلك فَهُم يطلبون إتيانه ، بينما الْمُلْك والملكوت قائم وثابت لله سبحانه منذ بدء الخلق وإلى أن يشاء الله .. قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ سورة الأنعام آية ٧٥ ، وقال ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ سورة يس آية ٨٣ .. فمعنى طلب إتيانه في صلاتِهم أنه غير قائم الآن ، وهذا نقص في صفة الْمُلْك للذَّات الإلهية وهو ما نُنَزِّه الله سبحانه عنه ..

ثم جاء دعاؤهم وطلبهم الأساسي من هذه الصلاة في النص : (خبزنا كفافنا أعطنا اليوم) : الخبز هو طلبهم ، وكأن كل همهم هو بطونـــهم ، أين هذا من الدعاء في فاتحة القرآن ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ ؟!! والصراط المستقيم هو الْمُوَصِّل لسعادة الدنيا والآخرة على أكمل وجه لأنه صراط الذين أنعم الله عليهم والذين على رأسهم ما ذكرهم القرآن الكريم في قوله : ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ

وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ سورة النساء آية ٦٩ .

﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ : هذا الدعاء ربما يكون أهم دعاء يقوله المسلم لأنه يتكرر كلما قرأتَ الفاتحة ومع كل ركعة من ركعات الصلاة .. هذا الدعاء الذي أنزله الله في كتابه لندعوه به هو من مقتضى ربوبيته للإنسان ، فالصراط المستقيم الذي يطلب المسلم من الله سبحانه هدايته له هو صراط ممتد من الحياة الدنيا مع بدء التكليف إلى اجتياز الصراط يوم القيامة .. ويشمل الدعاء بالهداية إلى الصراط المستقيم أن يوفِّق الله المسلم لاتِّباع جميع أوامر الله سبحانه واجتناب جميع ما نَهَى عنه سواء في ذلك العقيدة والعبادة والنُّسُك والسلوك والآداب والمعاملات والعادات ..

ثم يجيء قوله تعالى : ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ وهؤلاء هم أقسام الناس بالنسبة إلى الصراط المستقيم ، فـ (الذين أنعمت عليهم) : هم المسلمون الذين عبدوه سبحانه ولم يشركوا به أحدًا وساروا على النهج الذي فرضه عليهم وأوصاهم به ، أما (المغضوب عليهم) : فهم الذين عرفوا الطريق الحق ثم حادوا عنه فحق عليهم غضب الله وعذابه في الدنيا والآخرة ، وأما (الضالون) : فهم الذين خالفوا فطرة الله وناقضوا مقتضى العقل فعبدوا غير الله الواحد الأحد أو سلكوا في حياتِهم ما رسمه لهم الطواغيت دون ما جاء به رسل الله مما أوحاه الله سبحانه وتعالى لهم ..

هذه هي بعض معاني الفاتحة والمسماة بأم القرآن ، وفي هذه المعاني جاءت الآيات التي تضمنها القرآن لتكون عونًا للمسلم في فهم كتابه ودينه ، ولتكون بلاغًا لغير المسلم حتى يتبيَّن حقيقة هذا الدين ، وتقوم عليه حُجَّة الله سبحانه وتعالى ..

وسنعود إلى آيات سورة الفاتحة عند إجابتنا عن باقي الأسئلة كما سنقوم ببيان فساد قول النصارى في صلاتِهم : (واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضًا للمذنبين إلينا) عند الإجابة عن السؤال : كيف يكون الله عادلاً ورحيمًا ..

السؤال الثاني كيف نَصِل إلى الله وكيف نكون صادقين مع الله ؟

لكي تتم الإجابة على هذا السؤال يجب أن نعرف معنى الإنسان وسبب وجوده ووظيفته على هذه الأرض .. وابتداء نُذَكِّر بأن وجود الإنسان من حيث الذات الإلهية تم لحكمة يعلمها سبحانه وكذلك أي وجود آخر ، قال تعالى : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾ سورة المؤمنون آية ١١٥ ، والله سبحانه في ذاته ووحدانيته غني عن العالمين ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ سورة فاطر آية ١٥ ، فالله سبحانه غني بذاته لذاته ، حميد بذاته لذاته ، ليس في حاجة لثناء أحد ولا لعبودية أحد ..

أما غاية الوجود الإنساني فقد تحدد في أمرين : العبودية لله ، والخلافة في الأرض .

١- العبودية لله : قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ سورة الذاريات الآيات من ٥٦ : ٥٨ .. العبادة هي أقصى غايات الخضوع والتذلل ، وروح العبادة هي إشراب القلب خشية الله وهيبته والرجاء لفضله ، ويتأتَّى هذا من استشعار القلب عظمة للمعبود لا يعرف منشأها ، واعتقاده بسلطة لا يُدرك كنهها وماهيتها ، وقصارى ما يعرفه منها أنَّها محيطة به وفوق

إرادته .. وسبيل ذلك هو معرفة الله سبحانه وتوحيده ، وهذا التوحيد وهذه المعرفة تؤدِّي إلى غاية الحب بغاية الذل والخضوع ، غاية الحب لمعرفة أسماء الجود ، وغاية الذل لمعرفة أسماء الكبرياء والعظمة والجلال ..

والعبودية منقسمة على القلب واللسان والجوارح ، فعبودية القلب الإخلاص لله والتوكل عليه ومحبته والتوبة والإنابة إليه والخوف والرجاء .. كما أن من عبودية القلب ما يجب أن يدفعه المسلم ويقاومه كالرياء والعُجْب والكِبْر والفخر والْخُيَلاء والقنوط من رحمة الله إلى غير ذلك من الآفات ..

وأما عبودية اللسان فأولها : النطق بالشهادتين (أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدًا رسول الله) ، وتلاوة ما يلزمه تلاوته من القرآن في صلاته ، وكذلك الأذكار الواجبة في الصلاة كالتكبير والتحميد والتسبيح .. ومن عبودية اللسان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإرشاد الضال وتبليغ الإسلام ، كما أن من عبودية اللسان الامتناع عن الآفات المحرَّمة كالقذف وسب المسلم والكذب وشهادة الزور والقول على الله بغير علم .. أما عبودية الجوارح فلكل حاسة في الإنسان عبودية ، وهذه الحواس هي السمع والبصر والذوق والشم واللمس ، وعبودية الحواس واجب أداؤها في الخير وما هو مأمور به ومُحَرَّم فيما نُهي عنه ..

٢- الخلافة في الأرض : قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ سورة البقرة آية ٣٠ ، وقال تعالى : ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾

سورة ص آية ٢٦ ، وقال تعالى : ﴿ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾ سورة الحديد آية ٧ ، وقال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ سورة فاطر آية ٣٩ ..

قوله تعالى : ﴿ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ فُسِّر بأنه ينوب عن الله تعالى في إجراء أحكامه وتنفيذ إرادته في عمارة الكون وسياسته .. وقال الراغب في مفرداته : الخلافة النيابة عن الغير إما لغيبة المنوب عنه وإما لموته وإما لعجزه وإما لتشريف الْمُسْتَخْلَف ، وعلى هذا الوجه الأخير استخلف الله أولياءه في الأرض ..

العبودية والخلافة عن الله هما غاية الوجود الإنساني في الحياة الدنيا ، وعليهما مدار حياته في سبيل وصوله إلى الله وصدقه مع الله سبحانه ، ثم هما وسيلته عند الرجوع إلى الله سبحانه في الآخرة ليكون فيها من السعداء الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾ سورة هود آية ١٠٨ ..

قد عرفنا في إيجاز معنى العبودية لله وأقسامها ، أما الخلافة عن الله في الحياة الدنيا وفي الأرض فخلاصتها كما فسرها بعض العلماء بأنَّها الأداء الإنساني على مقتضى الأسماء الإلهية .. فالله سبحانه حَكَم عَدْل مُقْسِط فالواجب الإنساني هو أن يكون كذلك حكمًا عدلاً مقسطًا وهو ما يجب أن يحدث في القضاء .. والله سبحانه رؤوف رحيم وهو ما يجب أن يتصف به الإنسان في سلوكه ، قال تعالى عن الرسول (ﷺ) : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ

عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٨﴾ ﴾ سورة التوبة آية ١٢٨ .. والله سبحانه هو البَرُّ الرزاق الوهاب وهو ما يجب أن يكون عليه الإنسان المسلم سواء في عطاء الزكاة أو الصدقة أو البر أو النفقة .. وهكذا في جميع الأسماء الإلهية وفق الموقف وفي حدود إمكانيات المسلم ، وبذلك يكتمل معنى العبودية لله مع معنى الخلافة عن الله : العبودية لله سبحانه بأسمائه وصفاته ، والخلافة عن الله على مقتضى أسمائه وصفاته ..

مِن تحقق المسلم بالعبودية لله والخلافة عنه يكون الوصول إلى الله والصدق معه ، وهذه هي الإجابة الحقيقية الذي جاء نص الآية الكريمة من فاتحة القرآن : ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ ، كلمة (إياك) تعني إفراده سبحانه بالعبودية والاستعانة ، وفي هذا كمال التوحيد ، أما العبادة التي سبق أن حددنا معناها فقد جعل المنهج الإسلامي لها من الأعمال والأقوال ما يُعينك على معرفة الله والوصول إليه والقرب منه ، من هذه الأعمال دوام ذكره سبحانه بتلاوة كلامه ، **ذلك أن الله سبحانه هو الخالق** ، وهو الخالق لكل شيء ، والقرآن يذكرك بكثير من تفصيلات ذلك ، من ذلك خلق الإنسان إذ يقول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ سورة المؤمنون الآيات من ١٢ : ١٤ ، ومن ذلك خلقه الكون من أرض وسماء وشمس وقمر وسحاب ومطر ، ومن ذلك ما تذكره بالنسبة لطعامك إذ يقول تعالى : ﴿ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا

﴿ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾ سورة عبس الآيات من ٢٤ : ٣٢ .. **والله سبحانه هو الغفور الرحيم** ، والقرآن يذكرك بذلك في عديد من آيات القرآن الكريم كلما قرأت سورة من القرآن ليذكرك بوجوب دوام الاستغفار والتوبة لترجع وتنيب إليه مهما ارتكبت من ذنوب ، وفي ذلك قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ سورة الزمر آية ٥٣ ..

وما يقال عن خلق الله سبحانه لمراحل وجود الإنسان وما يقال عن المغفرة يقال أيضًا عن باقي الأسماء : كالقوي القاهر وذو الجلال والإكرام وكذلك باقي الأسماء بحيث يمكن أن تقول إن القرآن الكريم هو – دون غيره – كتاب التعريف بالله ، وأول وسائل القرب إلى الله والوصول إليه هو الصلاة بما فيها من ذِكْر وركوع وسجود وأذكار لكل حركة أو سكون ، وفيها السجود الذي قال فيه رسول الله (ﷺ) : (أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ) رواه مسلم ، وفي السجود التسبيح باسم ربك الأعلى ، وفيه وجبهتك على الأرض ما يقربك إلى الله العلي الأعلى المتعالى ، وهيئة السجود في الصلاة تتحرك فيه جميع مفاصل الجسم متوجهة وخاضعة لله ولا توجد أي هيئة أخرى يتحقق فيه ذلك غير السجود الذي اختُصت به صلاة المسلمين ..

ففي قول الله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ كمال العبودية وكمال الاستعانة التي تطلب فيها من الله تعالى وحده أن يعينك على العبادة وأن يعينك على

أداء الخلافة عنه في الأرض ، فإذا تم ذلك كنت مع الصادقين مع الله .. والصدق يكون في القول والفعل ، والصدق في القول أن يكون الكلام مطابقًا للحقيقة فقول الإنسان أنه مسلم فليكون صادقًا ، يجب أن يكون كذلك وأن يشهد الشهادتين وأن لا يكون في باطنه كافرًا ولا منافقًا .. والصدق في الفعل أن يكون أداؤه للفعل مطابقًا لحقيقة كلامه ، ومطابقًا لحقيقة ضميره ، وملتزمًا لكل ما أمره به من فرائض وما نَهَاه عنه من محرمات ، أما غير الفرائض من طاعات فيؤدي منها قدر استطاعته ، قال تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ سورة البقرة آية ٢٨٦ ، وقال : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ ﴾ سورة الطلاق آية ٧ ..

وفي قوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ كلمة (إياك) التي تفيد الحصر من وجوب تخصيص العبودية لله وتخصيص الاستعانة به وحده ، وهذا هو روح الدين وكمال التوحيد الخالص ، فعبادة الله تعالى هي غاية الشكر له في القيام لما يجب لألوهيته ، واستعانته هي غاية الشكر له في القيام بما يجب لربوبيته .. وتكون الاستعانة به لتكتمل العبودية له سبحانه ولأداء الخلافة عنه على الوجه الذي يرضيه .. وتوحيد الله سبحانه في العبودية والخلافة يتم بمعرفة كمال وحدانيته سبحانه التي جاءت سورة الإخلاص لتقررها في أجلى حقائقها ، قال تعالى :

قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾

هذه السورة تشتمل على أهم أركان رسالة الإسلام وهو توحيد الله عز وجل وتَنْزِيهه لإخراج الناس من الشرك والتشبيه ، وقوله سبحانه : (أحد) أي هو الواحد الذي لا كثرة في ذاته فهو ليس بمركب ولا هو مادي ولا هو من أصول متعددة غير مادية كما يزعم بعض أرباب الأديان كالنصارى ، وذلك لأنه سبحانه واجب الوجود لذاته وهذا يستلزم وحدة الذات لأن التعدد في الذات كما يزعم النصارى بأقانيمهم الثلاثة (الأب ، الابن ، الروح القُدُس) يجعل الذات الإلهية مفتقرة في وجودها إلى كل هذه الأقانيم ، وهذا الافتقار الداخلي في الذات يعدم الذات الإلهية التي هي غنية بذاتِهَا سواء عن العالمين وهو ما سوى الله وغنية عن هذا التركيب من الأقانيم الثلاثة .. ووحدانية الله سبحانه جعل الوجود كله يتجه إلى ذاته ليحقق له وجوده ولذلك جاء بالاسم (الصمد) ومن معانيه أنه الذي يُقصد في الحوائج ، والصمد يُشعر بأنه الذي ينتهي إليه الطلب بدون واسطة ولا شفيع .. وهو في ذلك يدعو مشركي العرب الذين يعتقدون بالوسائط وكثيرًا من أهل الأديان الأخرى الذين يعتقدون بأن لرؤسائهم منـــزلة ينالون بِهَا التوسط لغيرهم في نيل مبتغاهم ، فالمسلم يتوجه مباشرة إلى الله (الصمد) لدعائه وإجابة حاجته لا كغيره من أصحاب الديانات الضالة الذين يتوجهون إلى رهبانِهِم وقساوستهم بطلب إجابة حاجياتِهِم أو بإعطائهم المغفرة ..

والتوجه إلى الله سبحانه مباشرة باسمه (الصمد) هو ما يقوله تطبيقًا لذلك في سورة الفاتحة : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ وهو ما يفيد بطلان ما يزعمه بعض أرباب الديانات من أن هناك ابْنًا لله وأن هذا

الابن إله أيضًا ، ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ وفي هذه الآية نفي للمكافئ والمماثل في العمل والقدرة ..

ففي سورة الإخلاص ما يصل بالمسلم إلى القرب من الله وتوحيده والإخلاص له وحده في العقل والقلب والدعاء والعبادة والاستعانة ، ولذلك سُمِّيت السورة بسورة الإخلاص ..

نستكمل الإجابة عن السؤال الثاني وهو : كيف نَصِل إلى الله ، وكيف نكون صادقين مع الله ؟

بعد أن عرضنا لبعض المعاني لآيات من سورتي الفاتحة والإخلاص نقول إن توجهك إلى الله والاستعانة به وحده وإخلاص العبادة لله وحده هو طريق الوصول إلى الله ، بل إن الله سبحانه البَرُّ الكريم ذو الجلال والإكرام قد تفضل على عباده بأن جعل الصلاة صلة مشتركة بينه وبين عبده وذلك عند قراءة سورة الفاتحة فعن أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ : (سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه (ﷺ) يَقُولُ : قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : قَسَمْتُ الصَّلاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ : (الْحَمْدُ للَّه رَبِّ الْعَالَمِينَ) قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : حَمِدَنِي عَبْدِي ، وَإِذَا قَالَ : (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي ، وَإِذَا قَالَ : (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) قَالَ : مَجَّدَنِي عَبْدِي – وَقَالَ مَرَّةً : فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي – فَإِذَا قَالَ : (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) قَالَ : هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ ، فَإِذَا قَالَ : (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ) قَالَ : هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ) رواه مسلم .. فإذا استكملت صلاتك بين ركوع وقيام وتسبيح حتى وصلت إلى السجود كنت كما قال رسول الله (ﷺ) : (أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ

سَاجِدٌ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ) رواه مسلم ، وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴾ سورة العلق آية ١٩ ..

لقد حققت صلتك بالله حتى وصل الأمر في قراءتك للفاتحة أنك تقرأ والله سبحانه مع كل آية منها يجيبك ، وهذا ما يصل بك إلى مرتبة الإحسان التي قال عنها رسول الله (ﷺ) عندما سُئِل : مَا الإِحْسَانُ ؟ قَالَ : (أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ) متفق عليه .. ومع إجابة الله سبحانه للمسلم في قراءته مع كل آية يأتي فضل من الله سبحانه للمسلم في صلاته عندما يرفع من الركوع ويقول : (سَمِع الله لمن حمده) ولكأنك في هذا الذكر قد فوضك الله سبحانه أن تقول لنفسك ولجماعة المصلين عن الله : (سَمِع الله لمن حمده) وكلكم قال : (الحمد لله رب العالمين) ولعلنا الآن على يقين في أن الله سبحانه هدانا لأكمل ما يمكن أن نصل أنفسنا به .. فإذا انتهيت من صلاتك وقمت بتكاليف الخلافة عن الله في حياتك الدنيا كنت مع الصادقين مع الله الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴾ سورة الأحزاب آية ٢٣ ..

السؤال الثالث : ماذا نعمل لكي نصل إلى الجنة ؟

السؤال الرابع : هل وفيت بكل هذه الأعمال ؟

وللإجابة على هذين السؤالين نعود إلى سورة الفاتحة في قوله تعالى : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا

ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾ وقد بيَّنَّا بعض معاني الصراط المستقيم عند حديثنا عن حكمة خلق الإنسان في العبودية والخلافة ، ونضيف هنا أن (الصراط المستقيم) جاء به معرَّفًا بالألف واللام وذلك يفيد تعينه واختصاصه وأنه صراط واحد ، وأما طرق المغضوب عليهم والضالين فهي متعددة ، قال تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ سورة الأنعام آية ١٥٣ ، وَحَّد لفظ الصراط وسبيله وجمع السبل المخالفة له ، قال عبد الله بن مسعود : خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّه (ﷺ) خَطًّا ثُمَّ قَالَ : (هَذَا سَبِيلُ اللَّه) ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمينه وَعَنْ شِمَاله ثُمَّ قَالَ : (هَذِه سُبُلٌ : عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْه) ثُمَّ قَرَأَ : (إِنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِه) .. رواه أحمد ..

وصراط الله سبحانه وسبيله كله عدل وحق وخير ، والاهتداء إلى الصراط المستقيم والعمل بمقتضاه هو سبيلك للوصول إلى الجنة ، والأعمال المطلوبة والمفروضة والأعمال المنهي عنها كلها في حدود وسع الإنسان وطاقته ، قال تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ ﴾ سورة البقرة آية ٢٨٦ ، وقال : ﴿ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ ﴾ سورة الحج آية ٧٨ ، بل لقد علَّمنا الله البر الكريم اللطيف في نفس الآية التي قال فيها : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ ﴾ قال تكملة للآية الكريمة : ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى

ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ ..

فإذا اتبعت الصراط المستقيم في حياتك الدنيا كما رسمه لك القرآن الكريم وسُنَّة النبي (ﷺ) فيكون ذلك سبيلك للوصول إلى الجنة حيث هناك في الآخرة صراط آخر وهو جسر على جهنم إذا انتهى الناس بعد مفارقتهم مكان موقف الحساب إلى الظلمة التي قِبَل الصراط .. وفي هذا يفترق المنافقون عن المؤمنين ويتخلفون عنهم ، ويسبقهم المؤمنون ، ويُحال بينهم بسور يمنعهم من الوصول إليهم ، ويُجمع الناس فيُعطى المؤمنون نورهم على قدر أعمالهم ، ويمرون على الصراط بحسب أعمالهم ، فتمر الطبقة الأولى كالبرق ، والثانية كالريح ... وهكذا ، قال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ ﴾ سورة الحديد آية ١٢ ..

هذا هو ثمرة الهداية إلى الصراط المستقيم في الدنيا والعمل على مقتضى الصراط المستقيم من عبودية وخلافة في الدنيا ، ثمرته النور يوم القيامة والمرور على الصراط الذي يوصلك إلى جنات تجري من تحتها الأنـــهار ..

أما عن وفاء الأعمال المطلوبة فهو أمر يسير على مَنْ وفَّقه الله لذلك ، وعلى المسلم أن يراجع كل يوم عمله فإن رأى خيرًا فليحمد الله ، وإن رأى أَنْ خلط العمل الصالح بالعمل السيء فليلجأ إلى طلب العفو والمغفرة من الله عسى أن يغفرها له سبحانه ، قال تعالى : ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ

أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٠٢﴾ ﴾ سورة التوبة آية ١٠٢ ..

السؤال الخامس : كيف إذًا نَصِل إلى الجنة برحمته ومغفرته فقط ؟

الواجب على الذين يسألون هذا السؤال أن يعرفوا معنى الرحمة ومعنى المغفرة ، ولكي نعرف معنى الرحمة نعود إلى اسمي الله سبحانه : (الرحمن الرحيم) وما يقتضيه هذان الاسمان الجليلان من أسماء الجود الإلهي التي سبق أن عرضنا لبعضها عند السؤال الأول : من هو الله سبحانه ؟

(الرحمن) سبحانه ، هذا الاسم ابتدأت به سورة الرحمن وكأن كل ما جاء بعد هذا الاسم تعريف له ، قال تعالى : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ﴿٤﴾ ﴾ سورة الرحمن .. بدأت الآيات بقوله : (عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ) لأن ذلك أكبر نعمة على الوجود حيث عن طريق الوحي الإلهي وُجِدت الصلة بين ذاته سبحانه وتعالى وبين الإنسان الذي خلقه ، فخلق الإنسان ابتداء ، وتصويره وهو جنين ، وإخراجه من بطن أمه ، وحفظه أثناء حياته ، كل هذا من رحمته سبحانه ..

ثم جاءت بقية سورة الرحمن تعدد بعض ما أنعم الله به ، وقد ختم سبحانه كل نعمة بقوله : ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ، هذه النعم وردت فيها بعض الآيات منها قوله تعالى : ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ﴿٣٤﴾ ﴾ سورة إبراهيم آية ٣٤ ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٨﴾ ﴾ سورة النحل آية ١٨ ، فشكر نعمة الله من أهم الواجبات والفرائض التي يجب على المسلم أن يؤدِّيها ،

ولو حاول الإنسان أن يتتبع نعمة الله ليعدها ويحصيها حتى يؤدِّي شكر كل نعمة لما أمكنه هذا الإحصاء ، فكيف يحصي نعمة الإسلام وفيها النجاة في الدنيا والآخرة والتي ستنقذك من جهنم ونارها ؟! كيف يحصي نعمة الرزق الذي لو تأملته فستجد الوجود كله بأماكنه وأجوائه وقد سُخِّر لك ليقدم لك وجبة طعام ؟!

وإذا كان الإنسان لا يستطيع أن يحصي نعم الله ، وإذا كان الإنسان لم يتعود شكر نعم الله فإنه يكون ظلومًا كفَّارًا .. فكانت الآية الثانية في سورة النحل : ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ، لقد قابلت ظلم الإنسان مغفرة الله ورحمته إذا ما رجع إليه واستغفر وتاب ، وهذا هو الشأن في كل تقصير منك أو ذنب أو معصية ، إذا رجعت إلى الله وتبت إليه وعزمت على ألا تعود إلى المعصية قابلتك مغفرة الله وإن كانت ذنوبك وتقصيرك وعدم وفائك للأعمال مثل زَبَد البحر ، قال تعالى : ﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ سورة الزمر آية ٥٣ ..

أمر واحد لا يغفره الله سبحانه : هو الشرك بالله وجعل شريكًا أو نِدًّا أو ابنًا لله يساويه كما تقول النصارى في المسيح عيسى (عليه السلام) ، هذا هو الذي لا يغفره الله سبحانه أبدًا إلا أن يفيق هؤلاء الضالون والمغضوب عليهم من شركهم ويدخلوا في حظيرة الإسلام لله تعالى ويشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ..

السؤال السادس : كيف يكون الله عادلاً ورحيمًا ؟

قال تعالى في سورة الفاتحة بعد قوله : (ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ) قال :

(ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ) ، وهذا هو الجمع بين الرحمة والعدالة ، الرحمة في قوله سبحانه : (ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ) ، والعدالة في قوله سبحانه : (مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ) ، ومعنى (الدين) هنا هو الجزاء والحساب ، و(يوم الدين) : هو يوم الجزاء والحساب على الأعمال والذي فيه تُوزن الأعمال مصداقًا لقول الله تعالى : ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾ سورة الزلزلة الآيتان ٧ ، ٨ ..

وإننا يجب أن نعرف ابتداءً أن ذات الله سبحانه وصفاته لا يحدها حدود مثل صفات البشر ، وهذا يعني أنه يستحيل أن يكون هناك تناقض بين العدل والرحمة ولا تقابل بينهما لأن صعوبة التوفيق بين العدل والرحمة إن وُجِدت تكون في الصفات المحدودة التي لغير الله .. فمن أسمائه (الواسع) فقد وسعت رحمته كل شيء ، قال تعالى : ﴿ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ ﴾ سورة الأعراف آية ١٥٦ ، وقد استوى الله سبحانه على العرش باسمه (الرحمن) ، قال تعالى : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ سورة طه آية ٥ ، وقد قال رسول الله (ﷺ) : (إِنَّ اللَّهَ لَمَّا قَضَى الْخَلْقَ كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ : إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي) رواه البخارى ، وقد سبق أن ذكرنا بعضًا من رحمة الله سبحانه والتي تكررت في آيات القرآن الكريم وفي الأحاديث النبوية الشريفة ، ومن رحمته سبحانه أن جعل التوبة والعمل الصالح والاستغفار سبيلاً لرفع العقاب على الذنوب ، وجعل ذلك هو الذي يحقق التوازن والعدل برفع العقوبة عن العاصي أو المذنب ، قال تعالى في صفات المؤمنين وفي رفع العقاب على الذنوب :

﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ ﴾ سورة الفرقان الآيات من ٦٨ : ٧١ ..

هذه هي الرحمة والعدالة الإلهية بالنسبة إلى كفتي الميزان : (الذنوب والمعاصي) في كفة ، و(التوبة والاستغفار والعمل الصالح) في الكفة الأخرى ..

وقد كان هذا هو الشأن من لدن خلق الله آدم (عليه السلام) إلى أن يرث الله الأرض ومَنْ عليها ، فآدم (عليه السلام) بعد أن علَّمه الله الأسماء كلها قال له : ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ سورة البقرة الآيات من ٣٥ : ٣٧ ، وظل هذا هو الشأن في الحياة الدنيا يرتبط العقاب بارتكاب الذنوب والمعاصي ويرتفع العقاب بالعمل الصالح وبالتوبة والاستغفار وأداء حقوق العباد ، وهذا كله من مقتضى أسمائه سبحانه : الرحمن ، الرحيم ، الغفور ، الغفار ، غافر الذنب ، العفو ، التواب ، البَرّ .. ولذلك وبعد أن تحدثت الآيات في سورة الطور عن وعد المتقين بالجنة ودخولهم فيها وما يلقون فيها من نعيم قال على لسانِهم :

﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ ﴾ سورة الطور الآيات من ٢٥ : ٢٨ ..

إن جميع ما عرضناه من إجابة على الأسئلة السابقة يعطيك صورة واضحة عن الوجود في دنياك وآخرتك .. الله سبحانه رب العالمين تفضل عليك بنعمة الخلق والوجود وأوجدك في هذه الحياة لتقوم بواجبك من عبودية له بعد أن عرَّفك سبحانه بذاته وأسمائه وصفاته ، وجعلك خليفة عنه في هذه الحياة الدنيا على مقتضى أسمائه وصفاته ، وكان هذا كله بما هداك إلى صراطه المستقيم وما يتضمنه هذا الصراط من أوامر ونواه ، قال تعالى : ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ سورة الأعراف آية ٥٤ .. وأراك آياته في نفسك وفي الآفاق ، وأسبغ عليك نعمه ظاهرة وباطنة ، وبيَّن لك الجزاء في الدنيا والآخرة ، في الدنيا في مثل قوله : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ۚ ﴾ سورة النور آية ٥٥ ، وفي مقابل ذلك توعَّد المشركين بالعذاب والعقاب كما ورد في جميع قصص الأنبياء كما قال : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ سورة طه آية ١٢٤ .. فإذا ما ابتلى الله المؤمنين وأمهل العاصين والكافرين فإن الجزاء الكامل سيكون في الآخرة كما قال سحرة فرعون بعد إيمانهم بموسى (عليه السلام) وردًّا على فرعون :

﴿ قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾ ﴾ سورة طه الآيات من ٧٢ : ٧٦ ..

فإذا ما أخطأ المؤمن وهو في طريقه إلى الله ثم رجع وأناب إلى الله أدركته رحمة الله ، قال رسول الله (ﷺ) : (كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ) رواه الترمذى .. هذه هي الحياة كما أخبرنا عنها الوحي الإلهي في كتاب الله وهو القرآن وفي سُنَّة رسوله (ﷺ) ، أنت فيها صاحب هدف ورسالة ، تعبد الله وتؤدي الخلافة عنه سبحانه ، ووفقًا لما أنت عليه من اتباعك للصراط المستقيم واتباعك النور الإلهي في الدنيا كان ذلك نورًا لك في الآخرة في طريقك إلى الجنة ، قال تعالى : ﴿ أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾ سورة المؤمنون الآيتان ١١٥ ، ١١٦ ..

هذا هو الحق الذي جاءنا من عند الله سبحانه ، وهناك عقائد أخرى لم تجعل للحياة معنى وأفسدت العقائد وتناقضت بين ما يجب على العابد لله المستقيم على أمره وبين الجزاء على العمل إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشر .. وأول ما أفسدته أن جعلت لله ولدًا ، واخترعت قصصًا زعمت فيها أنَّها الوسيلة التي يمكن أن يوفق الله فيها بين

عدله ورحمته ، بينما المتأمل فيها لا يجد فيها عدلاً ولا رحمة ، بل يجدها كلها ظلمًا وقسوة ، وأصل هذه العقيدة لواضع سؤال : (كيف يكون الله عادلا ورحيمًا ؟) ويبدو أنه من النصارى لأنه ختم أسئلته بقوله : (المسيح أضحية الله) نقول : أصل هذه العقيدة ليس موجودًا لا في كتب العهد القديم ولا في كتب العهد الجديد ، وإنما أخذها أصحابُهَا من بعض العقائد الوثنية ويقولون تبريرًا لها عندهم : إن الله عندما وضع آدم وزوجته حواء في الجنة أَذِنَ لهما بأن يأكلا من كل شجر الجنة إلا شجرة معرفة الخير والشر ، فإنه قال لآدم : (إن أكلت من الشجرة فموتًا تموت) ، وقد أكل آدم من الشجرة وبالتالي فهو مستحق للموت .. وهذا عندهم مقتضى العدل الإلهي ، ولكن : إذا مات آدم فأين الرحمة ؟ لذلك جاء ابن الله وفق معتقدهم ليموت على الصليب فتتحقق العدالة بتحمله الموت ولا ينفذ الحكم في آدم ، ومن هذا يكون الله عادلاً ورحيمًا ..

قلنا إن هذه العقيدة ليس فيها عدل ولا رحمة ، بل إنَّها من أولها لآخرها ظلمًا وقسوة ، وأول انعدام العدالة فيها أن الله حين أمر آدم بعدم الأكل من الشجرة كانت هذه الشجرة هي شجرة معرفة الخير والشر ، والمتتبِّع لنصوص هذه القصة في (سفر التكوين) من العهد القديم يتبيَّن له أن آدم (عليه السلام) لم يكن يعرف الخير من الشر عند تكليفه بعدم الأكل من الشجرة ، ومن ثَمَّ فهو غير مميز وغير مدرك لما يفعل هل هو خير أو شر !! وهذا بداية الظلم لآدم أن يُكَلَّف وهو غير مميِّز .. وهناك فرق بين ورود القصة في سفر التكوين عند اليهود والنصارى وورود القصة في القرآن الكريم ، ففي القرآن جاء التكليف بعد أن علَّم اللهُ آدمَ الأسماء كلها ، ولم تكن الشجرة الممنوع من أكلها شجرة معرفة الخير والشر ، فحين كُلِّف آدم كان عاقلاً ومميِّزًا

ومسئولاً ، هذا وفق النص القرآني كما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ سورة البقرة الآيات من ٣١ : ٣٣ ..

الأمر الثاني في الظلم وعدم الرحمة في هذه العقيدة هو ما جاء في سفر التكوين : (إن أكلت من الشجرة فموتًا تموت) ، واسأل نفسك : ما الذي حدث لآدم بعد خروجه من الجنة وماذا يحدث لنسله الآن ؟ لقد مات آدم وما زال أولاده يموتون ، وإذًا فقد تحقق الحكم الذي ورد في سفر التكوين (فموتًا تموت) وليست هناك حاجة إلى أن يموت شخص آخر بعد موت آدم ، فإن هذا هو الظلم بعينه والقسوة بعينها حيث ينفذ الحكم مرتين : مرة في آدم ، ومرة في المصلوب .. وعلى فرض صحة هذه العقيدة أَلَم يكن الله سبحانه يعلم أن هناك فدية ستتحمل عن آدم العقاب ؟ أَلَم يكن الأَوْلَى في هذه الحالة أن يبقى آدم وذريته في الجنة ولا يخرجون منها حيث سيأتي الفداء ليتحمل العقوبة ؟!

الغريب أن الفدية المزعومة والتي ماتت حسب قولهم على الصليب لم تكن راضية أن تنفذ فيها هذه العقوبة ، وذلك من نصوص الإنجيل نفسه حيث ورد في إنجيل مرقس إصحاح ١٤ عدد ٣٦ أن المسيح قال : (يا أبا الأب كل شيء مستطاع لك فأجز عني هذه الكأس) ، وفي إنجيل متَّى إصحاح ٢٧ عدد ٤٦ : صرخ المصلوب (المفترض أنه المسيح حسب معتقد النصارى) قائلاً : (إيلي إيلي لِمَ شبقتني ؟) أي :

(إلهي إلهي لِمَ تركتني ؟) ، وواضح أن المصلوب الذي يزعمون أنه الفدية لم يكن راضيًا أن يُصلب ، فكيف يتفق مع العدالة والرحمة أن يؤتى ببريء ليتحمل عقوبة آخرين عن جريمة لم يرتكبها هو ؟!! أضف إلى ذلك أنك إذا رجعت إلى وقائع الصلب وفق ما ورد في أناجيلهم تجد أنَّها سلسلة من الجرائم البشعة :

١- لقد صَلَب البشر وهم من بني آدم (ابنَ الإله) - على زعمهم - بعد أن حاكموه محاكمة غير عادلة .

٢- وشهدوا عليه زورًا . ٣- وجلدوه .

٤- وبصقوا عليه . ٥- وجرَّدوه من ثيابه .

٦- ولطموه . ٧- ولكموه .

٨- ووضعوا إكليلاً من الشوك على رأسه . ٩- ثم وضعوه على الصليب .

١٠- وكان المارة يسبونه .

(إنجيل متى إصحاح ٢٧ عدد ٢٧ -٣١) ..

عشر جرائم تُرتكب مع ابن الإله المزعوم والذي يعتبرونه إلها أيضًا !! كل هذا بزعم مغفرة ذنب آدم عندما أكل من الشجرة !! والذين ارتكبوا هذه الجرائم هم من أبناء آدم (اليهود والرومان) !! والذي ارتُكبت هذه الجرائم ضده هو بزعمهم الله نفسه !! تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا ..

وإذا كان الأكل من الشجرة يتطلب قتل الإله وصلبه حتى تُغفر ذنوب بني البشر - حسب ادعائهم وضلالهم – فكم من الإلهة نحتاج لتُصلب كي تُغفر هذه الذنوب التي ارتكبت في حق الإله أو في حق ابنه ؟!!

وإن كنا نكتفي بِهَذا القدر في دحض هذه العقيدة الفاسدة فإننا نعود إلى ما سبق

أن ذكرناه فيما ورد بصلاتِهم التي يقولون فيها : (واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضًا للمذنبين إلينا) إنجيل متَّى إصحاح ٦ عدد ١٢ :

هذا هو دعاؤهم في طلب المغفرة من الله ، وهو طلب متوجِّه إلى الله سبحانه مباشرة دون التفات إلى الزعم بأن المصلوب قُتِل ليغفر خطايا البشر ، وهذا هو الشأن أيضًا عندما يعترفون لرجال الدين عندهم بخطاياهم ليغفروها لهم ، وهذا ما وصل بِهِم في عهود الظلام إلى أن كانت الكنيسة تعد صكوكًا للغفران تبيعها للمذنبين والعاصين كي يدخلوا بِهَا الجنة ..

على أن أخطر وأسوأ ما في صلاتِهم هو قولهم : (واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضًا للمذنبين إلينا) ، وهذه العبارة تدل على أنَّهم بعيدون عن الله وعن معرفة قدر مغفرته ورحمته التي وسعت كل شيء ، والتي منها خلق في بني البشر الرحمة التي يتراحمون بِهَا – وهي أحد معاني الخلافة التي سبق أن أشرنا إليها وهي أن تتمثل أسماء الجود الإلهي وتتصرف على مقتضاها – والتي منها وصف الرسول (ﷺ) في قول الله تعالى : ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ سورة التوبة آية ١٢٨ ، والتي منها ما جاء في وصف المؤمنين في قول الله تعالى : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ سورة الفتح آية ٢٩ ، وفي قوله تعالى : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾ سورة الفرقان آية ٦٣ ، إلى غير ذلك من الآيات ..

هذه الحقيقة عكسوا معناها في صلاتِهم فجعلوا الله – جل شأنه وتعالى في عظمته ورحمته – يتشبه بهم فقالوا : (واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضًا للمذنبين إلينا)

وكأنَّهم هم الأصل في وجود المغفرة والله سبحانه وجلَّ في علاه فرع يتعلم منهم كيف يغفر !! ألا ساء ما يحكمون ..

ولو أخذنا بقولهم هذا لبطلت أيضًا عقيدتُهُم في أن المسيح أضحية الله ليغفر ذنوب البشر ، لأن مغفرتهم هم للمذنبين إليهم تتم منهم دون حاجة إلى أن يقدِّم المذنبون إليهم إلَهًا يصلبوه كي يغفروا لهم ..

نترك هذا الفساد في صلاتِهم ، وننتقل الآن إلى بعض النصوص من كتابِهم المقدس التي يتبيَّن منها مدى التناقض والاضطراب في معنى الثواب والعقاب والمغفرة والجزاء على الذنوب وفق نصوص الوحي ، إذا اعتبرنا ما تضمنه كتابُهُم وحيًا :

١- ورد في إنجيل لوقا إصحاح ١٢ عدد ٤٩ أن المسيح قال : (جئتُ لألقي نارًا على الأرض ، فماذا أريد لو اضطرمت ؟ ولي صبغة اصطبغها وكيف أنحصر حتى تكمل ؟ أتظنون أني جئت لأعطي سلامًا على الأرض ؟ كلاَّ أقول لكم بل انقسامًا ، لأنه يكون من الآن خمسة في بيت واحد منقسمين : ثلاثة على اثنين ، واثنان على ثلاثة ، ينقسم الأب على الابن ، والابن على الأب ، والأم على البنت ، والبنت على الأم ، والحماة على كنتها ، والكنة على حماتِهَا) .. إذًا فقائل هذا الكلام جاء ليحرق الأرض بِمَنْ فيها فهل يتفق ذلك مع القول بأنه جاء ليموت على الصليب ليفدي البشرية ؟!! أين هذا الكلام من قول الله تعالى في القرآن الكريم : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ سورة الإسراء آية ٢٣ ، وقوله تعالى : ﴿ وَٱعْبُدُواْ

ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ سورة النساء آية ٣٦ ؟!!

جاء في سفر حزقيال من العهد القديم إصحاح ١٨ عدد ١٢ ما نصه : (النفس التي تخطئ هي تموت ، الابن لا يحمل من إثم الأب ، والأب لا يحمل من إثم الابن ، بر البار عليه يكون ، وشر الشرير عليه يكون) .. وفي رسالة بولس إلى أهل رومية إصحاح ٢ عدد ٦ تحدَّث عن الله فقال عنه : (الذي سيجازي كل واحد حسب أعماله) ، وفي عدد ١١ قال : (ليس عند الله محاباة) ، وهذه النصوص تبيِّن أن الجزاء سيكون بحسب العمل ، ومن هنا فالقول بضرورة وجود ما يسمونه بأضحية الله وهو المسيح ليس له أساس ، وإنما الموضوع كما سبق أن ذكرنا عبارة عن عقيدة وثنية دخلت على العقيدة المسيحية ، فالجزاء في الآخرة سيكون بحسب العمل وفق ما جاء بالقرآن الكريم وفي نصوص الوحي الإلهي التي لم تُحَرَّف في الكتب السابقة ، أما جزاء الإحسان بدخول الذين سُعِدوا الجنة فإنه يكون بفضل الله سبحانه وعلى أساس أعمالهم الصالحة ، قال رسول الله : (سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا فَإِنَّهُ لا يُدْخِلُ أَحَدًا الْجَنَّةَ عَمَلُهُ) ، قَالُوا : وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : (وَلا أَنَا إِلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِمَغْفِرَةٍ وَرَحْمَةٍ) رواه البخارى .. ويقول عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) : (تَجُوزُون الصِّرَاطَ بِعَفْوِ الله ، وتَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِرَحْمَةِ الله ، وتَقْتَسِمُونَ الْمَنَازِلَ بِأَعْمَالِكُم) .. وفضل الله هنا حق واقع فهو

الذي أنعم على الإنسان بنعمة الوجود ، ثم تفضل عليه بنعمة الإذن له بذكره سبحانه وعبوديته ، ثم تفضل عليه بنعمة الهداية والتوفيق للعمل الصالح عند الاستجابة للدعاء : ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ .. ففضل الله قائم في جميع الأحوال ، وكما أوضحنا فإن الإنسان لا يمكن له أن يكون قد وفَّى شكر نعم الله التي لا تُحصى ، ومن هنا ففضل الله سبحانه قائم حين يُدخل الله المؤمنين الجنة ، وتمام نعمته بالنظر إلى وجهه الكريم .. وكل هذا هو مقتضى أسماء الجود الإلهي : (الرحمن ، الرحيم ، الغفور ، التواب ، البر ، الوهاب ، السلام ، اللطيف ، الودود) ، ولكن لن يكون هناك فضل بسبب ما يزعمه من اتبعوا العقائد الوثنية بأن الله بذل ابنه لِيُقْتَل ليفدي البشرية (تعالى الله عن ذلك) .. فكل ما في هذه الخرافة ينافي العزة والجلال والعظمة والمجد التي لله سبحانه ..

الرد على القول : المسيح أضحية الله :

ختم واضع الأسئلة بِهَذه العبارة ويا ليته لم يفعل ، ففضلاً عما أوضحناه عن فساد هذه العقيدة فإنه على خلاف كل الكتب الموحى بِهَا وهي التوراة والإنجيل والقرآن والتي قرنت الجزاء بالعمل : إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشر ، فإن مؤدَّى هذه العقيدة أن تسوِّي بين الصالح والطالح ، بين من عمل الحسنات ومن ارتكب السيئات ، لأن من ارتكب السيئات فقد غُفِرت خطاياه – حسب هذه العقيدة – بموت المسيح على الصليب ..

وقد ذكرنا الإهانات التي تعرَّض لها المصلوب ، والمصلوب هو يهوذا الأسخريوطي الخائن وليس المسيح كما زعموا ، ولو كان المسيح وهو إله عندهم هو المصلوب مع

تعرضه للإهانات العديدة التي سبق أن أوردناها فأي مجد لله وأي جلال وعظمة له سبحانه مع كل هذه الإهانات التي وُجِّهت له ؟!!

وليت الأمر وقف عند هذا الحد بل إنه ورد في رسالة غلاطية من العهد الجديد إصحاح ٣ عدد ١٣ قوله : (المسيح افتدانا من لعنة الناموس "الوحي" ، إذ صار لعنة لأجلنا لأنه مكتوب : ملعون كل مَنْ عُلِّق على خشبة) ..

هذه هي أضحية الله !! أضحية ملعونة وفق عقيدتِهم ووفق ما ورد في كتابِهم المقدس !!

وأخيرًا بعد ما سبق أن كتبناه في إيجاز عن مَنْ هو الله سبحانه ثم ما كتبناه عن فساد عقيدة أضحية الله ، لا يَسَعُنا أن نترك القارئ بعد أن اشمأزت نفسه بما تعرف عليه من فساد هذه العقيدة .. نقول لا يسعنا إلا أن نختم بسيدة آي القرآن حتى يغسل القارئ نفسه وروحه من درن العقائد الفاسدة ليخلص إلى عقيدة التوحيد الحق وما فيها من تعظيم وإجلال لله سبحانه ، يقول تعالى :

ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ،،